١٦ ـ مؤتمر السّكّان بالقاهرة [١]

• الخطبة الأولى :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

في هذه الأيام ينعقد في القاهرة .. قاهرة الأزهر .. قاهرة الدعوة إلى الإسلام .. القبلة الثقافيّة للمسلمين في أنحاء الأرض ، يشاء الله أن ينعقد فيها مؤتمر يسمّى : مؤتمر السّكّان والتنمية ، تعقده الأمم المتحدة فى مصر .

ليته لم ينعقد بمصر :

وكما قلت في مصر : كنّا نربأ بمصر - بلد الأزهر وعاصمة العروبة وقلب الإسلام الخافق - أن تستضيف مثل هذا المؤتمر ، حتى لا يسير في جنباتها أولئك الشواذ : دعاة الشذوذ الجنسي ، الذين يتزوّجون من جنسهم : الرجال بالرجال والنساء بالنساء !

هذه الجمعيات الشاذة ما كان القاهرة أن تستقبلها ، كان عليها أن تغلب القيم الدينية والاعتبارات الأخلاقيّة على القيم الاقتصاديّة والاعتبارات السياحيّة .

ولدينا العبرة من السيرة النبويّة ، بل من القرآن الكريم ذاته .

حينما أرسل النبي ﷺ عليّ بن أبى طالب ليلحق بأبى بكر في موسم الحج من العام التاسع للهجرة ، ليعلن فى النّاس مبادىء أساسيّة منها : إنّه لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، وكان في إعلان هذه المبادىء خسارة ماديّة واقتصاديّة على أهل مكّة ، قالوا : كنّا نستفيد من هؤلاء كثيرا .

ولكنّ القرآن نزل يحسم القضيّة ، ويبيّن الحقائق ، فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢] .

---

(١) انعقد في الفترة من ٥ إلى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٤ م ، تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة ، وبمشاركة أكثر من عشرين ألفاً من أعضاء الوفود يمثّلون (١٩١) دولة من أعضاء المنظمة الدوليّة .

(٢) التوبة : ٢٨ .

« وإن خفتم عيلة » أي : فقرًا وحاجة ، « فسوف يغنيكم الله من فضله » بموارد أخرى لا تحسبون حسابها ، وقد كان ، فقد فتح لهم البلاد ، وأقبل عليهم الفيء غدقا ، ووسع الله عليهم من فضله .

وثيقة المؤتمر المثيرة :

كنّا نودّ أن ترفض القاهرة هذا المؤتمر ، أما وقد انعقد هذا المؤتمر ، فقد ثار لغط كبير ، وثارت مجادلات شتّى حول مشروع برنامج هذا المؤتمر ، الذي أُعدَّ في شكل وثيقة أعدّها المسؤولون عن هذا الجانب في الأمم المتحدة .

هذه الوثيقة ، أو هذا المشروع ، ترجم باللغة العربيّة ، في مائة وإحدى وعشرين صفحة من الصفحات (الفولسكاب) الدقيقة .

لم يذكر فيها اسم الله قط :

وثيقة مطوّلة لم يذكر فيها اسم الله قط ، لا في أوّلها ، ولا في أوسطها ، ولا في آخرها ، و « كلّ أمر ذي بال لا يُبدأ ببسم الله فهو أبتر » [1] . فكيف بأمر يتعلّق بالعالم كلّه لا يذكر فيه اسم الله أبدا ، لا تذكر فيه القيم الإيمانيّة ولا الأخلاقيّة باعتبارها محرّكات وضوابط ، دوافع لفعل الخير ، وروادع عن ارتكاب الشر ؟!

هذه هي الوثيقة ، أو هذا هو المشروع الذي قُدّم ليكون أساس المناقشات في مؤتمر القاهرة .

عُزل الدين ،وعُزل الإيمان بالله ، وعُزل الإيمان باليوم الآخر ، وعُزلت قيم السماء عن هذه الوثيقة .

لا تلازم بين زيادة السكّان والفقر :

تربط هذه الوثيقة - أو هذا المشروع - ما بين زيادة السكّان ونموّهم المطّرد في العالم وما بين الفقر ربطاً لزوميًّا ، كأنّها معادلة حسابيّة رياضيّة : إذا زاد السكّان وُجد الفقر !

وهؤلاء أناس ينقصهم الإيمان بالله ، الإيمان بأنّ لهذا الكون ربًّا خالقاً رازقاً ، تكفّل منذ خلق هذه الأرض برزق من فيها وما فيها من الأحياء .

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث (الإحياء) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة (١/٢٠٦) ط . دار المعرفة ببيروت .

ليس لهذا الأمر ذكر عندهـــم ، ولا يجـــري في بالهم ، ولا يدور في خواطرهم .

إذا زاد السكان وُجد الفقر ! وهذا قاله أحد الاقتصاديّين منذ القرن الماضي اسمه : (مالتوس) ، كان ينذر العالم بكارثة خطيرة بعد سنين قليلة ، أو عقود قليلة من السنين .

ومرّت عشرات السنين ، ومرّ قرن أو أكثر ، ولم تحدث الكارثة ، لأنّ الله هيّأ للناس أسباباً لم يكونوا يعلمونها ، الحاجة تفتق الحيلة ، وقد علّم الله الإنسان ما لم يكن يعلم : ﴿ .. وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

استطاع الناس أن يزرعوا أراضي جديدة ، وأن يعرفوا فنّ زراعة الصحراء ، وأن يقلّلوا من استخدام الماء ، بعد أن كانوا يروون بغمر الأرض بالماء ، أصبحوا يروون عن طريق الرشّ أو عن طريق التنقيط ، ويحاولون أن لا يتبخرَّ الماء ويضيع سدى .

بل حاولوا زيادة الإنتاج في الأرض المزروعة نفسها عن طريق تحسين البذور ، أصبحت الأرض - المساحة نفسها - تُؤتي أكلها أضعاف ما كانت تُؤتي من قبل .

هيّأ الله للنّاس بواسطة قوانين الوراثة والتطعيم والتهـــجين في الحيوانات والنباتات ، تحسين النّوعيّة وتحسين الكيفيّة ، واستطاع الإنسان أن يستخدم الطاقة الشمسيّة .

هيّأ الله للنّاس أسباباً لم تكن تخطر لهم على بال ، وهؤلاء يظنّون أنّ العالم اليوم هو سيكون عالم الغد وما بعد الغد ، ما يدريكم أنّ الله سيفتح للنّاس أبواباً لا تخطر لأحد على بال ؟ : ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا ، وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

الله هو الرزاق :

إنّ الله تعالى من أسمائه: (الرزّاق) ، يقول عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى

---

(١) النّحل : ٨ . (٢) فاطر : ٢ . (٣) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .

الله رزقُهَا } هذا تكفّل من الله عزّ وجلّ { ،وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا . . ﴾[1] ، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[2] .

الرزق موجود ، مبثوث في هذا الكون ، مذخور في باطن الأرض ، أو منشور على ظاهرها ، منه ما عرفه النّاس ومنه ما لا يعرفوه ، منه ما لا يزال الإنسان يجهله ، حوالي ثلاثة أرباع هذه الكرة مياه : بحار ومحيطات ، سخّرها الله للإنسان ، ولم يكتشف الإنسان كل ما في البحر ، ولم يصل إلى كل ما في البحار ، ولم ينتفع بكلّ ما يعرفه في البحار .

الأرزاق موجودة ، وعلى الإنسان أن يبحث ويفكّر ويسعى في مناكب الأرض ، ويلتمس الرزق في خباياها ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[3] .

فمن مشى في مناكب الأرض ، من فكّر وبحث وسعى واجتهد وكدح، فإنّه جدير أن يأكل من رزق الله في هذه الأرض ، ومن تقاعس وتقاعد وتكاسل ، فهو جدير أن يحرم من رزق الله .

إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضّةً كما قال عمر رضي الله عنه ، ولكن على النّاس أن ينتشروا في الأرض ويبتغوا من فضل الله ، ويبحثوا عن رزقهم ليصلوا إليه .

بين الجاهليّة القديمة والجاهليّة الحديثة :

إنّ أهل الجاهليّة قديماً كانوا يقتلون أولادهم ، إمّا من إملاق واقع ، أو خشية إملاق متوقّع ، فقال الله عز وجلّ : ﴿ . . وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ ، نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ . . ﴾[4] إذا كان الفقر واقعاً ، فقدّم كفالة رزقهم على رزق أولادهم ، وفي سورة أخرى قال : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ ، نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ { رزقهم مكفول لهم قبل أن يُخلقوا } ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾[5] .

---

(١) هود : ٦ .
(٢) الذاريات : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) الملك : ١٥ .
(٤) الأنعام : ١٥١ .
(٥) الإسراء : ٣١ .

والجاهليّة الجديدة تريد أن تقتل الأطفال ، ولكن في بطون أمّهاتها ، عن طريق الإجهاض ، لا .. لا ينبغي أن يُقتل الأولاد ، لا ينبغي أن نستسلم لهذه الجاهليّة الحديثة .

الرزق موجود ، مبثوث في الأرض ، منذ خلق الله هذه الأرض : ﴿ .. وبَارَكَ فيهَا وَقَدَّرَ فيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ .. ﴾ (١) . قبل أن يسوّي الله السماء خلق الأرض « .. وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها .. » الأقوات مقدّرة في هذه الأرض .

صحيح أنّ الله لا ينزل الرزق للناسّ بكثرة وبسطة ، حتى لا يطغوا ولا يبغوا في الأرض : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢) ينزّل كلّ شيىء بقدر ﴿ وَإِن مِّن شَيْىءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٣) ، حسب تقدير الله وحكمته ، يظهر الشيىء في أوانه .

الله تعالى يقول في سورة أخرى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ .. ﴾ (٤) أي قبل أن يخلق الله آدم ويخلق البشريّة ، مكّن لهم في الأرض وجعل لهم فيها معايش ، هيّأ لهم معايشهم ثمّ خلقهم ، ولكن هؤلاء كأنّما يعترضون على الله ، ويظنّون أنّهم متحكّمون في كلّ شيىء ، وينسون أنّ الله هو الخالق ، وأنّ الله هو الرازق ، وأنّه مدبّر الأمر كلّه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَن يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ ، وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللهُ ، فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ (٥) .

الرزق بيد الله ، فلا ينبغي أن نربط ما بين زيادة السكّان والفقر لا محالة ، فإنّ

---

(١) فصّلت : ١٠ .
(٢) الشورى : ٢٧ .
(٣) الحجر : ٢١ .
(٤) الأعراف : ١٠ ، ١١ .
(٥) يونس : ٣١ .

الله سيهدي النّاس إلى طرق وأساليب تهيىء لهم المعايش والأرزاق التي ضمنها الله تعالى لهم ·

تنظيم الأسرة لنسلها لمبّررات شرعيّة مقبول :

لا مانع من أن تتدبّر الأسرة المسلمة أحوالها ، وأن تحاول تنظيم النّسل ، لا مانع أن يتفق الزوج والزوجة - كلاهما مع صاحبه - على أن يكون الحمل في فترات معقولة ، ما بين كل طفل وآخر فترة من الزمن ، حتى تستريح الأمّ من ناحية ، وحتى يتهيّأ للأسرة الرعاية الصّحية ، والرعاية التعليميّة ،والرعاية الاجتماعيّة ، فقد أصبح الناس الآن يعيشون مستقلّين ، وغدت تربية الأطفال تحتاج إلى جهد جهيد ، ومتابعة مستمّرة ·

في الزمن الماضي كانت الأسرة يعيش بعضها مع بعض ، يعيش الولد مع أبيه وأمّه ، وتأتي زوجة الابن فتقول لها حماتها - أم الزوج : عليك أن تلدي وتنجبي أولاداً ، وعليّ أن أربّي ! الآن لم يعد هـذا ، أصبح النّسل يكلّف أهله تكاليف كثيرة ، فلا مانع من تنظيمه ·

على أن يكون هذا من حقّ الأسرة ، ومن اختيار الأبوين ، أمّا أن يكون هذا فلسفة عامّة للبشريّة كلّها وللنّاس جميعاً ، فهذا ما نرفضه ·

وسائل مرفوضة لغايات غير محمودة :

هذه الوثيقة ، أو هذا المشروع الذي قدّم للمؤتمر ، قام على هذا الأساس ، وأراد أن يعالج هذا الهدف - الذي هو نفسه ليس بمقبـول في نظر القيم الدينيّة الأصيلة ، بوسائل وأساليب أكثرها أيضا - أو كثير منها على الأقلّ - مرفوض فى ميزان الدين ·· فى ميزان الخلق ·· في ميزان الشرائع السماويّة كلّها ·

يريدون إباحة الإجهاض بلا قيود :

من هذه الوسائل ذكروا:الإجهاض ، وتحت عناوين شتّى : الإجهـاض المأمون ·· تخفيف الأمر على المرأة الحامل ·· الحمل غير المرغوب فيه ·· الخ ، وهذا كلّه ليس بمقبـول إسـلاميًّا ولا دينيًّا ، حتى بابا الكاثوليـك وقف ضد هذا بقوّة ،وهنا اتفق الأزهر والفاتيكان ، ووقف المسجد والكنيسة معاً ضدّ الطوفان المدمّر للأديان ·

احترام الإسلام لحياة الجنين :

إنّ الإسلام يُعطي للجنين حقّ الحياة ،ولا يجيز لأحد - ولو كان أباه أو أمّه - الاعتداء عليه ، لأنّه كائن حيّ محترم ، ولو جاء من حرام ·

المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ تطالبه أن يطهّرها ، ويقيم حدّ الله عليها ، وتقول له : إنّها حُبلى من الزنى ، فماذا قال لها النبي ﷺ ؟ قال لها : « فاذهبي حتى تلدي » ، أي إن كان لنا سبيل عليك فما لنا سبيل على ما في بطنك ، ما في بطنك مخلوق لا ذنب له حتى نقيم الحد عليك وعليه ، وذهبت المرأة أشهراً ثمّ عادت وقد وضعت وليدها ، فقالـت : ها أنا قد وضعت يا رسول الله ، قال : « اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه » (١) .

هكذا يحترم الإسلام الجنين الكائن الحيّ في بطن أمّه ، ويرتّب على ذلك أحكاماً ، فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تصوم رمضان إذا كان صيامها يضرّ بجنينها ، وعليها أم تفطر حتى لا تؤذي هذا المخلوق في رحمها ، هذا ما يريده الإسلام .

ولكن هؤلاء يريدون الإباحيّة الجنسيّة ، أطلقوا العنان للشهوات ، ثمّ إذا حملت المرأة أعطوها حقّ التخلّص منه ، وقالوا : إنّها حرّة في جسدها !

إنّ هذا ليس جسدها ، هذا كائن آخر أدخله الله عليها ، فليس من حقّها أن تقتله ، لأنّها لم تهب له الحياة ، الله هو واهب الحياة ، فلا يجوز لأحد من مخلوقاته أن يستلبها بغير إذنه .

الإجهاض من الأمور الخطيرة التى تضمّنتها هذه الوثيقة ، المتضمّنة لمشروع برنامج هذا المؤتمر .

تعدّد أشكال الأسرة في الوثيقة :

من الأشياء الخطيرة التي تضمّنها هذا المشروع ، ما جاء في الصفحة التاسعة والعشرون : إنه ينبغي على الجميع أن يقدّموا الدعم للأسرة ، مع الأخذ في الاعتبار تعدّد أشكال الأسرة !!

نحن نعرف شكلاً واحداً للأسرة ، هذا الشكل هو ارتباط بين رجل وامرأة ، بعقد شرعيّ له أركانه وشروطه ، وبهذا العقد وهذا الارتباط تنشأ الحياة الزوجيّة ، تنشأ الأسرة المسلمة ، وهذا آية من آيات الله ، ذكرها الله تعالى فى كتابه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ، باب : « حدّ الزنا » .

(٢) الروم : ٢١ .

هؤلاء يقولون : هذا شكل من أشكال الأسرة ، ولكن هناك أشكال أخرى ·

هنك أسرة بلا عقد ، اثنان يعيشان معاً وليس بينهما عقد زواج ، ليس بينهما ارتباط شرعي يكلّف كلاً منهما حقوقًا وواجبات تجاه الآخر ·

وهذا - للأسف - ما لاحظته في أوربّا : إن كثيراً من الشبّان والبنات يرتبط بعضهم ببعض ويعيشون معاً ، ولكن دون زواج ·

حينما كنت أُعالَج في صيف سنة (١٩٨٥ م) في مدينة (بون) بألمانيا ، سألت الممّرضات اللاّئى كنّ يشرفن على تمريضى : هل هنّ متزوّجات ؟ لم أجد منهنّ متزوجة ، ؛كلهن (MISS) - أى : آنسة - وليس (MRS) - أى : متزوّجة - كما يقولون ·

وعرفت السبب في هذا : إنّ الزواج مسؤوليّة ، ولماذا يتحّملون المسؤوليّة ؟

الشاب يتنقل من واحدة إلى أخرى ، والفتاة تنتقل من واحد إلى آخر ، وإذا أعجبها شخص تعيش معه سنة ·· سنتين ·· ثلاثة ، ثمّ تبحث عن غيره ، كما يبحث هو عن غيرها ·

فهذا شكل من أشكال الأسرة : الحياة معاً دون ارتباط ودون عقد ·

الأسرة ذات الجنس الواحد ! :

ومن أشكال الأسرة : الأسرة ذات الجنس الواحد ، أى : الأسرة مكونة من رجلين ، أو مكونّة من امرأتين ، يتزوّج الرجل الرجل ، وتتزوّج المرأة المرأة !!

جمعيّات الشّواذ المنتشرة في العالم ، هؤلاء - للأسف - جعلوا هذا شكلاً من أشكال الأسرة ينبغي أن يدعم !

كيف ندعم هؤلاء الذين خرجوا على فطرة الله ، وعلى شرائع السماء ، وعلى قيم الأخلاق كلّها ؟!

يتزوّج الرجل الرجل !! وللأسف أقرّت هذا بعض القوانين في أوربا ، وباركت ذلك بعض الكنائس ، وبعض القسس يخرج في (التلفاز) ويقول : القس الفلاني يعقد عقود زواج الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء !!

هذا ما يريدون منّا أن نقرّه : تعدّد أشكال الأسرة ·

الله سبحانه وتعالى ذكر لنا قوم لوط ، وكيف عاقبهم بعذابه ، وأنزل عليهم نقمته ، وصبّحهم بكرة عذاب مستقر ، وجعل قراهم عاليها سافلها ، وأمطر عليهم :

﴿ .. حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [1]، أجل ليست عقوبة الله ببعيدة عن هؤلاء الظالمين !

كيف نقرّ عمل قوم لوط ؟! وكيف نقرّ السحاق بين النساء ؟! وقد خلق الله الزوجين الذكر والأنثى ، وركّب في كلّ منهما الميل الفطرى إلى الآخر ، وجعل من وراء ذلك الإنجاب وبقاء الحياة البشريّة إلى ما شاء الله .

هؤلاء وقفوا ضدّ فطرة الله ، وفطرة الكون ، وشرائع السماء كلّها .

الوثيقة تدعو إلى تأخير الزواج :

هذه الوثيقة تتحدّث عن العمل على تأخير الزواج ، لا ينبغي أن يتزوّج الإنسان مبكّرا ، وتقدّم البدائل له إلى حين يتزوّج ، ومعنى تقديم البدائل إتاحة فرص الشهوات الحرام إلى أن يأتي وقت الزواج ! فهؤلاء لا يحترمون شريعة ولا دينا .

هؤلاء وقفوا من هذا الأمر موقف الإباحيّة والتحلّل .

القرآن يقول : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى منكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ، إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِه .. ﴾ [2] ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج .. » [3] ، وهؤلاء يقفون ضدّ هذا كلّه .

هذه الوثيقة وهذا المشروع المقدّم لمؤتمر القاهرة تضمّن أشياء كثيرة مخالفة للإسلام ، بل مخالفة لجميع الأديان ، لا يقبلها دين من الأديان ، ولا شريعة من الشرائع ، بحال من الأحوال .

عزل الأسرة عن العلاقات الجنسيّة لأولادها :

جد في هذه الوثيقة : إنّ على الجميع أن يساعدوا المراهقين والمراهقات ، وأن يقدّموا لهم الثقافة والمعلومات الجنسيّة والتناسليّة ، وأن يساعدوا مقدّمي الرعاية

---

(١) هود : ٨٢ ، ٨٣ ، وأوّلها : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا .. ﴾ .

(٢) النّور : ٣٢ .

(٣) رواه البخارى ، ومسلم ، واللفظ لهما ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائي ، وتتمّته : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنّه له وجاء » (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٥٤٩ - ٥٥٠ برقم ١٠٩٥) .

الصّحيّة ، بحيث يكون هناك خصوصيّة ،وسريّة لهؤلاء المراهقين ، ولا تتدخّل الأسرة في شأنهم !!

يريدون رفع وصاية الآباء والأمّهات عن الأبناء والبنات ، النبى ﷺ يقول : « كلّكم راع ومسؤول عن رعيّته ... والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيّته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها ... » (١) ، ولكن هؤلاء يريدون أن يمحوا هذه الرعاية ، فلا تكون الأسرة مسؤولة عن أبنائها وبناتها ، بل يمضي كلّ منهم وراء المتع والملذات ، كما يشتهي .

نحن لا نمانع ، بل هو مطلوب شرعاً أن نقدّم لهم التثقيف الجنسي الصحيح ، فى جوّ من الجدّيّة والوقار والإيجابيّة ،والإسلام أعطانا في هذا أشياء كثيرة وتوجيهات مفيدة ، ولكن ليس معنى هذا أن نتيح لهم الاتصال المحرّم في فترة المراهقة ، وإذا حملت الفتاة علينا أن نجهضها ، ما هذا ؟!

وصاية فكريّة وأخلاقيّة علينا من العالم الجديد :

هذه مجتمعات غريبة جاءت تريد أن تفرض نفسها علينا ، تريد أن تفرض الوصاية الفكرية والأخلاقية ، ولا تكتفي بالوصاية السياسيّة .

العالم الجديد ، أو النظام العالمي الجديد ، لا يكتفي بأن يفرض وصايته السياسيّة علينا ، حتى يريد أن يفرض الوصاية الفكريّة ، والوصاية الأخلاقيّة والسلوكيّة على حياتنا ، وأن يلزمنا بقيمه وأخلاقه وسلوكيّاته ، وما خلقنا الله عبيداً لأحد ، وما خلقنا الله أذناباً لأحد ، نحن لنا ديننا ولهم دينهم .

ليسوا نصارى ولا مؤمنين بدين :

مع أنّهم لو كانوا نصاري حقًّا .. لو كانوا مسيحيين متبعين لتعاليم المسيح عليه السلام ، لوجدوا دينهم ينهاهم عن مثل هذا ، ولكن هؤلاء لا دين لهم ، ليسوا نصارى ولا مسلمين ولا بوذيّين ولا غير ذلك ، هؤلاء انخلعوا من كلّ دين وأرادوا أن يفرضوا هذا على العالم .

لهذا وقف المسلمون ضدّ هؤلاء ، وقف مجمع البحوث الإسلامية ، ولجنة

---

(١) من حديث ابن عمر الذي رواه البخاري ومسلم ، أنظر : (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٥٥٣ برقم ١١٠٨) .

الفتوى بالأزهر ، والجماعات الإسلاميّة ، والنقابات المهنيّة ، في مصر ، وفي المملكة العربية السعوديّة : هيئة كبار العلماء ، ورابطة العالم الإسلامي ، وفي البلاد الإسلاميّة المختلفة هاج الناس هنا وهناك ، وطالبوا بمقاطعة المؤتمر ،وكنّا نودّ لو قوطع المؤتمر .

ولكن لا مانع من حضور المؤتمر ، إذا حضرنا ونحن متماسكون لا مستسلمون ، ونحن متحدون لا متفرّقون ، ونحن أمامنا قيم عليا نؤمن بها ونكيّف حياتنا وفقاً لها ، ليست ممّا صعد من الأرض ولكنّها ممّا نزل من السماء .

نحن الأمّة الوسط : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . ﴾ (١) . نحن شهداء على البشريّة : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . ﴾ (٢) .

الخوف من تنامي العالم الإسلامي :

إنّ هناك أشياء كثيرة في هذا المؤتمر لا يرضي عنها الله ، ولا رسوله ، ولا رسله جميعا ، ولا المؤمنون .

وهناك أشياء خلف هذا المؤتمر لم يعلنوا عنها ، إنّهم يخافون ممّا سمّوه : تنامي العالم الثالث ، وفي الواقع هم يخافون من تنامي العالم الإسلامي (٣) .

العالم الإسلامي يزداد يوماً بعد يوم ، وهم يتناقصون يوماً بعد يوم ، وهذا أمر طبيعي إذا كان الناس يخافون من تحمّل أعباء الأسرة ، قال لي أحد الأطباء - وكان يشرف عليه طبيب كبير في بريطانيا لكنّه لا ينجب - وسأله : لماذا لا تنجب ؟ قال له : ولماذا أنجب ؟! اعطني مبرّراً واحداً يجعلني أنجب ! .

---

(١) آل عمران : ١١٠ . وتتمتها : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

(٣) تشير أوراق المؤتمر الدولى للسكّان والتنمية بوضوح إلى اختلال التوزيع الإقليمي لسكّان العالم ، وأنّه في الفترة من (١٩٩٥ م) وحتى (٢٠١٥) يُتوقع أن يتزايد سكان المناطق الأكثر نموًّا (أي أوربّا وأمريكا) بما يقارب (١٢٠) مليون نسمة ، بينما سيتزايد سكان المناطق الأقلّ نموًّا بما قدره (١٧٢٧) مليون نسمة أي أكثر من (١٤) ضعفا .

هذا الإنسان كأنّه يريد أن يحكم على البشريّة بالفناء بعد جيل واحد ، فلو أنّ كلّ الناس امتنعوا عن الإنجاب لكان معناه : أن تنتهي البشريّة .

البشريّة أعطته وجوده ، كان عليها أن يعطي كما أخذ ، خصوصاً أنّه رجل في القّمة من العلم ، كان عليه أن يتحّمل المسؤولية ويربّي جيلا .. طفلاً أو طفلين علي الأقل ، لكنّه يريد أن يعيش لنفسه .

العالم الغربيّ يريد أن يعيش على اللّذّة والمتعة ، ولا يريد حتى من أولاده أن يزاحموه في متعته ولذّته ، كأهل الجاهليّة !

النبى عليه الصلاة والسلام سئل : أيّ الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » ، قيل : ثمّ أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك » [1] : أن يزاحمك في اللّقمة ، وهؤلاء لا يريدون لذرّيتّهم أن تزاحمهم ، يريدون أن يستمتعوا بالحياة وحدهم ، فلا عجب أن يتناقص نسلهم [3] .

كنت في فرنسا في هذا الصيف ، فوجدت الفرنسيّين يشكون من تناقص النسل وتكاثر المسلمين هناك ، هناك أكثر من أربعة ملايين مسلم من أبناء الشمال الأفريقي والسنغال وغيرها من البلاد التي كانت مستعمرات فرنسيّة من قبل ، هؤلاء يتكاثرون وأولئك يتناقصون ، فهم يقولون إنّه لو استمرّ الحال على هذا لأصبحنا بعد عقود قليلة من السنين ونحن أقلّيّة ،وصار هؤلاء أكثريّة ! فهم يخافون من المسلمين داخل بلادهم ، ويخافون منهم خارج بلادهم ، لأنّ الشعب الإسلامي شعب ولود .

ومن قديم قال أحدهم في كتابه (الإسلام قوّة الغد العالميّة) : إنّ المسلمين لهم المستقبل ، وجعل من أسباب هذا : كثرة النّسل بين المسلمين .

هؤلاء يخشون من تزايد العالم الإسلامي .. من تزايد المسلمين في العالم ، وقبل سقوط (الاتحاد السوفيتي) كانوا يخوّفون من كثرة المسلمين هناك ، وأنّه بعد

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب (الأدب) من صحيحه ، باب : (قتل الولد خشية أن يأكل معه) ، كما أخرجه في كتاب (الحدود) باب : (إثم الزناة) ، وكتاب (التوحيد) باب : (قول الله تعالى : فلا تجعلوا لله أندادا) ، وتتمته : قال : ثم أى ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » .

(٢) بل تشير الوثائق إلى أن هناك بلداناً أوربيّة مهدّدة بالفناء التام خلال أقلّ من نصف قرن ، إذا استمرت معدّلات النموّ السكاني فيها تتناقص كما هو الحال الآن .

مدّة قليلة سيصبح المسلمون هم حكام الاتحاد السوفيتي ، ولعلّ هذا ما جعلهم يعجّلون بسقوطه ، خشية أن يؤول في النهاية إلى المسلمين .

توزيع الثروة بين العالم المتقدّم والبلاد النّامية :

ثمّ هؤلاء الذين يربطون بين زيادة السكّان والفقر ، لماذا لا يذكرون سوء استهلاك الثروة في العالم وسوء توزيعها ؟ الأمم المتحدة تقول : إن (٢٥ ٪) من السكان يعيشون في العالم المتقدم ، أو العالم الغربي ، أو العالم الأوّل كما يسمّونه ، والأكثريّة تعيش في العالم الثالث،ولكن(٢٥ ٪) تستهلك من مواردالعالم (٧٥٪) : (٨٠ ٪)من الأخشاب، و (٧٠ ٪)من المعادن،و (٦٠ ٪) من الغذاء . . . الخ ، هكذا يستهلك العالم الغربي .

فى أمريكا وحدها نشرت الصحف : إنّ المسكرات والمخدّرات والخمور وهذه الأشياء يُنفق عليها وحدها سنويًا : (٢٥ بليون دولار) !

أمّا ما ينفق على التسليح فهو بمئات المليارات ، لماذا لا يوفّر هذا لتنمية العالم ، وتنمية الدول الفقيرة ؟

تطويق العالم الثالث بالديون المرهقة :

إنّ العالم المتقدم . . العالم الغربي . . العالم الأوّل ، المسرف في استهلاكه ، المتمتع بلذاته ، طوّق العالم الثالث . . العالم الفقير . . العالم الكادح ، طوّقه بأغلال من الديون ، أنهكته وأرهقته وجعلته يلهث من أجل أن يعطـي فوائد الديون (الربا) .

الدول المدينة بالمليارات وعشرات المليارات تلهث وتتعب من أجل أن تسدّد الفوائد ، أمّا أن تسدّد الأقساط فهيهات هيهات .

لم يكف العالم الغربي ما نهبه من خيرات هذا العالم في آسيا وأفريقيا في أيام الاستعمار - نهب الثروات وأقام بنيته الحضاريّة هناك: الطرق والمؤسّسات والسكك التي تحت الأرض وغيرها من الأشياء التي أقامها من هذه البلاد التي يحتلّها ، واستنزف خيراتها ومواردها - لم يكفه هذا فبدأ يشتري المواد الخام منها بأرخص الأسعار ، ثمّ يصنّعها ويعيدها إليها بأغلى الأسعار .

وهناك النّاس لا يستطيعون أن يقوموا بمشروعات التنمية فيحتاجون إلى الاستدانة ويمدّون اليد إلى هؤلاء ، ومعظم هذه الديون تعود إليهم فى صورة أخرى ،

لأنّهم يعطون الديون في صورة أدوات مستهلكة، وفي صورة خبراء من عندهم ، وفي صورة أشياء يستغنون عنها، ولكن على هذه الدول أن تسدّد خدمة الدّين (الأقساط والفوائد) فلا تستطيع أداء الأقساط فتسدّد الفوائد .

وكثيراً ما تستدين من جديد لتوفّي الدَّين القديم ، فمتي يمكن أن توفّي وقد قال الشاعر قديماً :

إذا ما قضيت الدَّين بالدَّين لم يكن
قضاء ، ولكن كان غرماً على غرم ؟!

هذه هي حالة هذا العالم الثالث والعالم الإسلامي ، أمام العالم المقتدر المتمكّن ، الذى يريد أن يفرض نفسه ويفرض وصـ . على هذا العالم ، متجاهلاً دياناته ، متجاهلاً شرائعه ، متجاهلاً قيمه وأخلاقه .

لا ، لا ينبغي أن نستسلم لهذا .

إنّنا مسلمون ، وإسلامنا يفرض علينا أن نعتزّ بشخصيّتنا ، وأن نعتزّ بإيماننا ، وأن نعتزّ بقيمنا ، وأن نعتزّ بأحكام شريعتنا ، ولا نفرّط فيها ، ولا يملك المشرق والمغرب : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

أقول قولي هذا ، واستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* *

• الخطبة الثانية :

أمّا بعد :

فقد ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة ، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له ، ولعلّها تكون هذه الساعة .

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها

---

(١) فصّلت : ٣٣ . (٢) الزخرف : ٤٣ .

معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير ، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر .

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وقلوبهم على التقى ، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل .

اللهم أكرمنا ولا تهنّا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عناّ وأرضنا .

اللهم جنّبنا كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، وانصرنا على القوم الكافرين .

﴿ .. رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

اللهم انصرإخوتنا فى فلسطين ، وانصر إخوتنا في البوسنة والهرسك ، وانصر إخوتنا في كشمير ، وانصر إخوتنا في الصـومال ، وانصر إخوتنا في سائر بلاد الإسلام .

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام ، اللهم ردّ عنّا كيدهم ، وفلّ حدّهم ، وأدل دولتهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المسلمين .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنّا ، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مُطْمَئِنًّا ، سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

عباد الله : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

---

(١) يونس : ٨٥ ، ٨٦ .
(٢) آل عمران : ١٤٧ .
(٣) الأحزاب : ٥٦ .

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) العنكبوت : ٤٥ .

١٧ ـ التدخين آفة ضارّة وهو حرام [١]

١٤١٧/١/١٤ هـ
١٩٩٦/٥/٣١م

• **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

طلبٌ إليّ بعض الإخوة أن أحدّثكم عن التدخين ، بمناسبة اليوم العالمي للتدخين .

والتدخين آفة من الآفات ، ابتلي بها النّاس في عصرنا وابتلي بها العرب والمسلمون خاصّة ، وأصبحت داء يتناقله النّاس بعضهم عن بعض .

هو كالأوبئة التي تُعدي كما يُعدي الأجرب السليم ، وسرعان ما تنتشر هذه الآفة انتشار النّار في الهشيم ، الصغير يقلّد الكبير ، والابن يقلّد الأب ، والفقير يقلّد الغني ويبدأ الناس كما قالوا : (أولّه دلع وآخره ولع) ، فيصبح الإنسان عبداً لهذه الآفة ، أسيراً لهذه العادة ، لا يملك لها فكاكا .

اختلاف العلماء قديماً في حكم التدخين :

لقد ظهرت هذه الآفة منذ حوالي أربعة قرون ، على رأس الألف من الهجرة ، واختلف العلماء عند ظهورها في شأنها ما بين محرّم لها لما يرى ما تجلبه من ضرر . . ومن قائل بكراهتها . . ومن مبيح لها يقول : إنّ الأصل في الأشياء الإباحة ، ولم يرد ما يحرّم هذا الأمر .

في عصرنا يجب أن نفتي بالتحريم :

ولكنّنا في عصرنا ينبغي أن نجزم بحكم واحد لا ريب فيه ولا شبهة معه ، هذا الحكم هو تحريم التدخين تحريماً باتًّا ، وذلك لأنّ حكم الفقيه في هذه القضيّة مبنيّ على رأي الطبيب ، فإذا قال الطبيب : إنّ هذا الأمر ضارّ ، وليس فيه نفع ، فينبغي للفقيه أن يقول : إنّ هذا الأمر حرام ولا شكّ فيه .

---

(١) للشيخ القرضاوي - حفظه الله - فتوى مطوّلة بعنوان : (أحكام التدخين في ضوء النصوص والقواعد الشرعيّة) تضمّنها الجزء الأوّل من كتابه (فتاوي معاصر) ص ٦٥٤ - ٦٦٩ .

وهذا ما أجزم به ، ويجزم به الفقهاء المحقّقون : أنّ هذا التدخين آفة محرّمة ، وذلك لعدّة أسباب :

التدخين ضدّ الضروريّات الخمس :

أوّلاً : إنّ هذا التدخين ضرر لا شكّ فيه ، ضرر على النفس ، وضرر على العقل ، وضرر على الدين ، وضرر على المال ، وضرر على النّسل .

ضرر يؤثّر في المصالح التي سمّاها الفقهاء : الضروريّات الخمس ، التي لا تقوم حياة إنسانيّة إلاّ بها .

التدخين ضرر على النفس والحياة والصّحّة :

هو ضرر على نفس الإنسان وعلى صحّته ، أجمع على ذلك أطباء العالم ، والهيئات العلميّة في العالم ، ولذلك فرضوا على الشركات التي تبيع هذا الدخان - أو التبغ أو التتن أو سمّوه ما تسمّونه - أن تعلن أنّ التدخين ضارّ بالصّحّة .

هو ضارّ بصحّة الإنسان ، مسبّب لأنواع من السرطانات ، منها سرطان الرئة والمريىء والبلعوم وغير ذلك ، ومسبّب لأمراض تصـــيب شرايين القلب إلى غير ذلك .

فهو ضرر على حياة الإنسان ، وعلى صحّة الإنسان .

صحيح أنّه ليس ضررًا فوريًّا ، ولكنّه نوع من الانتحار البطيء . هناك سمّ يقتل في الحال ، وهناك سمّ يقتل بعد سنة أو سنتين أو عشر سنين .

هو سمّ قاتل ، فيه من هذه المواد : الزفت ، والقطران ، والهباب الأسود ، والنكوتين ، والمراد الكيماويّة ، والمواد السّامّة ، ما يؤثّر في جسم الإنسان على المدى الطويل .

فالإنسان الذي يتناول هذا الشيء ، يتناول سمًّا بطيئًا ، ينتحر ولكن بالقطّارة .

فهل يجوز للإنسان أن يقتل نفسه والله تعالى يقول : ﴿ .. وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ، إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [1] ؟!

لقد قرّر العلماء أنّه لا يجوز للمسلم أن يتناول شيئاً يضرّه في الحـــال أو في

---

(١) النساء : ٢٩ .

المآل ، ولو كان أكل الطين ، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ . . وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١) ﴿ . . وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ، إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(٢) ، والنبيّ ﷺ يقول : « لا ضرر ولا ضرار » (٣) : لا تضرّ نفسك ولا تضارّ غيرك ، فكيف يجوز للإنسان أن يضرّ نفسه ؟!

وفلسفة الإسلام هنا واضحة كلّ الوضوح ، بيّنة كالشمس في رابعة النّار : إنّ الإنسان ليس ملك نفسه ، بحيث يؤذي نفسه كما يشاء ، ويضرّها كما يشاء ، لا أنت لم تخلق نفسك ، الله هو الذي خلقك : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمُ * الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾(٤) . كيف تضرّ نفسك باختيارك ؟! هل يفعل هذا إنسان له عقل ؟! لا . فكيف إذا كان المدخّن يضرّ نفسه ويُضارّ غيره ؟!

لقد أثبت لنا العلم ، وأثبت لنا الطب : أنّ المدخّن يؤذي غيره قهراً .

أنا لست مدخّناً ، ولكن إذا جلست في مكان فيه مدخّن ، فإنّي أُصاب - بقدر ما - بما يسمّونه : التدخين القسري ! أي : أنا أدخّن رغم أنفي ، لأنّي استنشق الهواء الذي فيه أثر التدخين .

المدخّن يؤثّر على من حوله : على زوجته . . على أولاده . . على البيئة التي يعيش فيها ، فهو يضرّ نفسه ويُضارّ غيره .

---

(١) البقرة : ١٩٥ .　　(٢) النساء : ٢٩ .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس ، ورواه ابن ماجه عن عبادة ، ورمز له السيوطي بالحسن (الجامع الصغير : ٢ / ٢٠٣) . وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، وقال النووي في الأذكار : هو حسن ، وقال الذهبي : حديث لم يصح ، وقال ابن حجر : فيه انقطاع قال : وأخرجه ابن أبي شيبة وغيره من وجه آخر أقوى منه ، ورواه الحاكم والدارقطني عن أبي سعيد وزاد : « من ضرّ ضرّه الله ، ومن شقّ شاقّ الله عليه » ، وفيه عثمان بن محمد ابن عثمان ليّنه عبد الحق ، والحديث حسّنه النووي في الأربعين ، قال : ورواه مالك مرسلاً وله طرق يقوّي بعضها بعضا ، وقال العلائي : للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به (فيض القدير : ٦ / ٤٣١ - ٤٣٢ برقم ٩٨٩٩) . وقوله : « لا ضرر » : أي لا يضرّ الرجل أخاه فينقصه شيئا من حقه ، « ولا ضرار » أى لا يجازى من ضره بإدخال الضرر عليه بل يعفو .　　(٤) الانفطار : ٦ - ٨ .

ولذلك نقول : إنّ الضرر على النفس .. على الصّحّة .. على الحياة ، من هذه المصيبة ضرر مؤكّد ، لا يجوز لعاقل أن يدخل ، من هذه المصيبة ضرر مؤكّد ، لا يجوز لعاقل أن يدخل هذا السمّ على جسده مختاراً ، وعنده ذرّة من عقل .

التدخين ضارّ بالعقل :

الله وهبنا العقول لنفكّر بها ، فكيف يفكّر الإنسان أن يضرّ نفسه مختاراً ولم يكرهه أحد على هذا ؟!

التدخين ضارّ بالعقل ، يؤثّر على العقل ، ففيه نوع من الإسكار ، ونوع من التفتير ، يشعر به الإنسان حينما يتناول أوّل سيجارة ، فيذهل عن نفسه ، ويكفي أن ترى المدخّنين وسلوكهم ، فتستيقن من ذلك .

هؤلاء الذين ينفقون أموالهم فيما يضرّهم ، وربّما كانت أسرهم وأطفالهم في حاجة إلى القوت الضروري ، وهم لا يبالون !

هل هذا إنسان عاقل ؟!

لا أحسب هذا إنساناً عاقلاً بحال ، ولا أدري ما يقوله العلم المعاصر والطبّ المعاصر عن تأثير التدخين على مخّ الإنسان .

التدخين ضارّ بالدين :

والتدخين كما يضرّ بالنفس ، ويضرّ بالعقل ، يضرّ بالدين .

أعرف أناساً لا يصومون رمضان ، لماذا ؟ يقول أحدهم : لا أستطيع أن أستغني عن السيجارة ، إنّها حياتي !

وكثير من النّاس يصوم وأوّل ما يؤذّن المغرب يفطر على هذا الخبث الخبيث .. على التدخين .

ثمّ إنّ التدخين يجرّىء المدخّن على ارتكاب ما نهى الله عنه من التبذير والإسراف ، وإيذاء الغير ، إلى جانب تقصيره فيما أمر الله به من الواجبات الدينيّة والدنيويّة ، فلا يستطيع مدخّن أن يقوم بواجب الجهاد في سبيل الله ، دفاعاً عن الدين أو الأرض ، أو العرض ، لأنّ التدخين يضعفه بدنيًّا ، ويحرمه من القوّة اللاّزمة لأعباء الجهاد ومشتقّاته .

التدخين ضارّ بالنّسل :

والتدخين ضرر بالنسل ، فالمدخّن يؤثّر على أولاده ، ويضرّ بأطفاله ، وهذا أمر مؤكّد .

أثبتت أحدث الدراسات أنّ الأولاد والأطفال الذين يترعرعون في بيئة مدخّنة ، ومع أب مدخّن ، أو أمّ مدّخنة ، هؤلاء تكون جدران شرايينهم - شرايين القلب - أضعف من غيرهم ، ويكونون معرّضين لآفات وأمراض لا يعلمها إلاّ الله .

وهؤلاء ما داموا يعيشون مع أب مدخّن أو أمّ مدخّنة ، فهم في بيئة ملوّثة يقيناً ، ويدخّنون قهراً عنهم ، لأنّهم يستنشقون هواء التدخين ، ثمّ بعد ذلك يقلّدون الأب المدخّن ، ويظنّون أنّ التدخين من علامات الرجولة ، ولذلك كثير من الأولاد الصغار يبدأ التدخين ويمسك بالسيجارة والعلبة ، ليثبت أنّه قد بلغ ، وأصبح رجلاً من الرجال ، والآفة من الأب المدخّن .

التدخين ضارّ بالمال :

التدخين يضرّ بالضروريّات الخمس كلّها ، ومنها : الضرر المالي .

الإنسان المدخّن ينفق ماله فيما لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة ، وقد اتفق العلماء على أنّ إضاعة المال فيما لا ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة حرام ، لا يجوز .

لا يجوز إضاعة المال ، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال ، المال مال الله ، وأنت مُستخلف فيه ، فلا يجوز لك أن تضيّع مالك فيما لا ينفعك : لا ينفع روحك ، ولا ينفع بدنك ، ولا ينفع عقلك ، ولا ينفع نفسك ، ولا ينفع أسرتك ، ولا ينفع أمّتك .

المدخّن يشترى ضرره بحرّ ماله ، يضرّ نفسه بالثمن ليته يضرّ نفسه مجّاناً ، يضرّ نفسه بما يدفع .

هل هذا عقل ؟! هل هذا دين ؟!

وممّن يشتري ؟ يشتري من الشركات العالميّة التي تبيع السجاير : شركات (المارلبورو) وغيرها ، التي يعلنون عنها ، وهذه شركات استعماريّة ، يملك الكثير منها اليهود وأشباه اليهود ، تنفق على الدعاية وحدها في السنة عدّة مليارات - لا

أذكرها ، قرأتها قريباً ونسيت العدد ، أرقام ضـخمة - فكيف بما تكسـبه هذه الشركات ؟! تكسب شيئاً هائلاً .

ونحن المسلمين نشتري منها بالمليارات ، وبعض البلاد الإسلاميّة المحدودة الدخل ،والمدينة ، من أكثر البلاد تدخيناً ، مثل الباكستان ومصر ، النّاس يدخّنون بشراهة ، وهم لا يكادون يجدون القوت .

ومن عجب : أن ترى الرجل يشتري السجاير ويدخنّ وأولاده ربّما كانوا في حاجة إلى رطل من اللحم - أو كيلو من الفاكهة - يأكلـ ، وربّما كانوا في حاجة إلى ملابس تستر أجسادهم ، وربّما كانوا في حاجة إلى أدوات مـدرسيّة .. إلى كتب .. إلى هذه الأشياء الأساسيّة ، فيذهب الرجل يشتري السجاير ويدع أسرته المسكينة تعاني ما تعاني .

هذا ما تقع فيه الأمّة .

نحن إذن ننفّق سلع هذه الشركات العالميّة ، ندفع لها المليارات سنويًّا ، من قوت أولادنا ، وعصارة أرزاقنا !

فهذا هو الضرر المالي .

التدخين ليس من الطيّبات :

ثانياً : الإسلام يكره الإسراف في الحلال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١) ، فكيف بهذا الأمر الذي لا يمكن أن يُعدّ في الطيبّات ؟!

وُصف النبي ﷺ في كتب الأقدمين بأنّه : « يحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث »(٢) ، في أيّ خانة نضع هذه السجاير ؟ في خانة الطيبّات أم في خانة الخبائث ؟ الذي عنده حسّ فطريّ لا شكّ أنّه سيضعها في خانة الخبائث ، لأنّه ليس فيها أيّ شيئ من النفع والطيب .

---

(١) الأعراف : ٣١ .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ... ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

لولا اعتياد الناس لها ما تذوّقها الإنسان ، لكرهها ، لرماها ، لكن الإنسان إذا اعتاد شيئاً ولو كان أكل الطين ، فإنّه يسهل عليه ، ويحلو له ، وهذه آفة أيضاً .

استعباد إرادة الإنسان :

ثالثاً : من آفات هذا التدخين : إنّه يستعبد إرادة الإنسان .

الإنسان المدخّن عبدٌ لهذه الآفة ، عبدٌ لهذه العادة ، ليس حرًّا ، لا يستطيع ـ يحرّر نفسه إلاّ بإرادة قويّة ، كأن تكون (حكم الطبيب) ، يقول له : إمّا أن تقلع عن التدخين ، وإمّا أن تعرّض نفسك للموت ، هذا ما رأيناه ، رأينا أناساً بعد أن عاشوا ثلاثين سنة ، وأربعين سنة ، وخمسين سنة .

يدخّنون ، بعد إنذار الطبيب أقلعوا عن التدخين ، لأنّه إمّا حياة وإمّا موت ، وهم لا يريدون أن يموتوا ، فيقلعون عن التدخين بعد هذه السنين الطويلة .

استعباد الإرادة هذه آفة :

لماذا تعبّد نفسك لغير الله ؟!

لماذا تجعل إرادتك رهناً بشيء ليس هو من الأساسيّات ، ولا من الضروريّات ، ولا الحاجيّات ، ولا التحسينيّات ، شيء يمكن الاستغناء عنه تماماً ؟!

بل هو شيء مؤذٍ وشيء كريه ، رائحته نفسها مؤذية .

أنا من النّاس الذين لا يطيقون رائحة التدخين ، ولو ابتليت بإنسان يُدخّن أكاد أختنق ، وأقول له : يا أخي ارحمني .

والغربيّون عرفوا هذا الأمر ، فجعلوا في الطائرات أماكن للمدخّنين ، وأماكن لغير المدخّنين ، وكذلك في القطارات وفي الحافلات (الباصات) ، يجعلون هناك عربات أو مقاعد لغير المدخّنين ، حتي لا يُؤذوا غيرهم ، وبلادنا قد قلّدتهم وإن كانت - للأسف - لا تلتزم ، كثيراً ما ركبت بعض الطائرات العربيّة ، ورأيت في أماكن غير المدخّنين من يُشعل السيجارة ولا يبالي بالنّاس .

رابعاً : هناك أناس يقولون : التدخين مكروه وليس حراماً ، لأنّ التحريم يحتاج إلى نصّ محكم ، ولا نصّ ، وأنا أقول لهؤلاء : النّصّ موجود ، وهو كل ما يحرم إضرار الإنسان بنفسه أو بغيره ، وكلّ ما يحرم الإسراف في المال أو إنفاقه فيما لا ينفع ، وكلّ ما يحرم الخبائث من الأطعمة والأشربة ونحوها .

وهب أنّنا سلمنا لهؤلاء المجادلين والمارين بأنّ هذا أمر مكروه ، فهي كراهة

تحريم بلا ريب، وقد قلت لأحدهم يوماً : كم تفعل هذا المكروه في كلّ يوم ؟ فقال : أربعين مرّة أو تزيد! قلت له: إجمعها بعضها على بعض، فلن تقلّ عن حرام بيقين . جاء في الحديث : « إيّاكم ومحقّرات الذنوب ، فإنّهنّ يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » (١) . وفي حديث آخر : « إيّاكم ومحقّرات الذنوب ، فإنّما مثل محقّرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد ، فجاء ذا بعود ، وجاء ذا بعود ، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإنّ محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » (٢) .

ومثل ذلك يقال في اجتماع المكروهات التحريميّة المتكرّرة أبداً .

هدايا المدخنين غير جائزة :

والتجار - للأسف - يشجّعون المدخّنين ، تجد هناك أشياء كثيرة تتبرّع بها الشركات من أجل التدخين : الأطباق التي توضع في المجالس و (الصالونات) لإطفاء السجاير ، وعلب السجاير ، وقدّاحة لإشعال السيجارة ، وغير ذلك ، وهذا لا يجوز .

لا يجوز للإنسان أن يضع في بيته مطفأة أو (طفّاية) ، من جاء إلى بيته فليحترم البيت ، ولا يدخّن ، حتى لا يؤذى أهل البيت .

لا نشجّع الناس على التدخين بأن نضع لهم (طفّايات) السجاير في بيوتنا ومجالسنا ، ليبوؤوا بإثمه ، إن كان ولا بدّ فليحملوا أوزارهم وحدهم ، ولا يحمّلونا هذه المصيبة .

---

(١) من حديث ابن مسعود الذي رواه أحمد ، والطبراني ، والبيهقي ، كلّهم من رواية عمران القطان وهو ممّن اختلف في توثيقه وتضعيفه ، وبقيّة رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح كما ذكر المنذري والهيثمي ، وقال ابن حجر سنده حسن ، وقال الشيخ شاكر في تخريج المسند : إسناده صحيح ، ورواه أبو يعلى بنحوه من طريق إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، ورواه الطبراني ، والبيهقي أيضاً موقوفاً عليه . ويشهد للحديث حديث سهل بعده (المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٧١ برقم ١٤٦٤) .

(٢) من حديث سهل بن سعد الذي رواه أحمد ، ورواته محتجّ بهم في الصحيح ، وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ، ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهّاب بن الحكم وهو ثقة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٦٧١ برقم ١٤٦٥) .

يا أيها الاخوة :

السجاير هذه آفة ومصيبة ابتلي بها الناس ، لا يوز لنا نحن المسلمين أن نشارك فيها ، بل ينبغي أن نقف ضدّها حرصاً على سلامتنا ، حرصاً على صحّة أجسامنا ، حرصاً على صحّة عقولنا ، حرصاً على صحّة ديننا ، حرصاً على صحّة أولادنا ، حرصاً على صحّة جيراننا ، حرصاً على سلامة أموالنا ، حرصاً على قوّة مجتمعنا ، فإنّ مردود هذه الآفة في النّهاية هو ضعف الأمّة ، وإصابتها بضرر عام في الحياة كلّها .

بيع التبغ (الدخان) وزراعته غير جائز شرعاً :

لا يجوز أن ندخّن ، ولا يجوز لنا أن نبيع السجاير والدخان ، لأنّنا نبيع الحرام ، ومن باع الحرام شارك فيه .

الإسلام حينما حرّم الخمر لعن معها عشرة : « عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشترى له » [1] ، كلّ من ساهم فيها من قريب أو من بعيد ملعون على لسان محمد ﷺ .

ولذلك نقول : إنّ زراعة (التبغ) هذا محرّمة ، وللأسف هناك بعض البلاد الإسلاميّة تزرع هذا الدخان .

لا يجوز أن يُزرع ، ولا يجوز أن يُباع ، ولا يجوز أن يُتاجر فيه ، كثير من البقّالات ،والمحلاّت التجاريّة تبيع السجاير لأنّ وراءها مكسباً كبيرا ، ولكنّه كسب من سُحت ، لا يبارك الله فيه ، لأنّه كسب من أذى الناس .. من ضرر الناس .

والله لأن تكسب قليلاً من حلال يبارك الله لك فيه ، خير من أن تكسب الحرام من وراء هذه الآفة .

---

(١) رواه ابن ماجه ، والترمذي واللفظ له ، وأوّله : « لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة ... » . وقال الترمذي : غريب من حديث أنس ، وقال الحافظ المنذريّ : ورواته ثقات . وقد روي نحوه عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبي ﷺ ، فالحديث صحيح بشواهده ، وهو يدلّ على القاعدة الإسلاميّة : أنّ الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم كلّ ما يفضي إليه ويساعد عليه (المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٦٥٢ برقم ١٤٠١) .

ينبغي للمسلمين - أصحاب البقالات والمحلات التجاريّة - أن يقاطعوا السجاير ، ولا يبيعوها ، من يريد أن يشتري السجاير عليه أن يبحث ويتعب ، من أراد أن يدخل جهنم فليدخلها وحده ، لكن إذا كنت أنت حريصاً على الجنّة ، وحريصاً على النجاة من النّار والسلامة من العذاب ، فلا تشارك في هذه الآفة .

استيراد الدخان لا يجوز :

لو استطعنا أن نمنع استيراد هذه البضاعة الأثيمة ، فلنفعل ، لأنّ استيراد المواد المضرة لا يجيزه شرع ولا قانون ولا أخلاق ، فليت حكوماتنا تحزم أمرها وتمنع هذه السلعة الضارّة .

منع التدخين في الأماكن العامّة :

لقد سعدت بما صدر من قرارات في دولة قطر تمنع التدخين في مستشفى حمد العام ، وتمنع التدخين في جامعة قطر ، وتمنع التدخين في مدارس وزارة التربية والتعليم ، وتمنع التدخين في الأماكن العامّة ، كما سعدت بمنع التدخين في طائرات الخليج بين دول مجلس التعاون .

وينبغي أن نوسّع في هذا ما استطعنا ، حتى نضيّق على هؤلاء الذين يؤذون أنفسهم بأنفسهم ، ويؤذون من حولهم بالرغم منهم .

هؤلاء مرضى ، فينبغي أن لا نمكّنهم من أن يؤذوا أنفسهم ويؤذوا المجتمع من حولهم .

المشكل أنّهم لا يؤذون أنفسهم فقط ، تبيّن لنا أنّهم يؤذون الغير شاؤوا أم أبوا .

دعوة المدخّنين إلى وقفة مع النفس :

نحن في حاجة إلى وقفة مع النفس .

أدعو الإخوة والأبناء الذين ابتلوا بهذه الآفة ، أن يقفوا مع أنفسهم وقفة حزم .. وقفة إرادة ، لا يحتاج الأمر إلاّ إلى إرادة ، أليس المسلم يصوم رمضان فيمتنع خمس عشرة ساعة - أو أكثر - في اليوم عن هذه الآفة ولا يحدث له شيء ؟

الإرادة هي التي فعلت هذا .

نحن نريد الإرادة القويّة التي يعزم فيها صاحبها : ألاّ يعود إلى هذه الآفة .

سيدوخ في أوّل الأمر ، ويشعر بالغثيان ، ولكن ثمن هذا ثمن عظيم : سينجو من هذه الآفة ، سينجو ممّا تسبّبه من أمراض خطيرة ، سينجو هو وأولاده ، سينجو المجتمع من حوله .

نحن في حاجة إلى هذه الإرادة ، وكما يقول الشاعر قديماً :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمـــــة
فإنّ فســـــــاد الرأي أن تتردّدا
وإن كنت ذا عزم فأنفـــــذه عاجلاً
فإنّ فســـــاد العزم أن يتقيدا

هناك من يقول : يمكن أن تأخذ الأمر بالتدريج بعد أن كنت تدخّن ثلاثين سيجارة دخّن عشرين ، ثمّ عشرة ، ثمّ خمسة ... الخ .

وهناك من يقول : الأمر يحتاج إلى الإرادة الجازمة .. إلى الإرادة القويّة ، وهذا هو الأصوب : ﴿ .. فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ .. ﴾ (١) .

إنّي أدعو إخواني المسلمين ، وأدعو أبنائي المسلمين ، إلىّ أن يملكوا هذه الإرادة المؤمنة ، أن يملكوا هذه العزيمة الصادقة ، وأن يتوكّلوا على الله ، وينووا ترك هذه الآفة، ويصبروا على ما يصيبهم أيّاماً أو أسابيع، ثمّ يصبح الأمر عاديًّا بعد ذلك .

أمّا النّساء اللاّئي يدخّنّ فهي آفة عظيمة دخيلة على مجتمعنا ، ما كنّا نعرف في بلاد العرب والمسلمين أنّ امرأة ندخّنّ ، وما أقبح المرأة التي تمسك السيجارة وتدخّن ، وأسنانها صفراء ، ورائحتها كريهة .

النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من أكل بصلاً أو ثوماً ، فليعتزلنا ، أو فليعتزل مساجدنا ، وليقعد في بيته » (٢) ، وأمر بعض النّاس أن يخرج من المسجد لسوء رائحته ممّا أكل من الثوم والبصل والكراث وهذه الأشياء(٣) ، مع أنّها نافعة ، فيها (فيتامينات) وغيرها من مواد الغذاء ، ولكن رائحتها كريهة .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنّسائي ، عن جابر رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ١٦٥ برقم ١٧٨) .

(٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته : ثمّ إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراها إلاّ خبثتين : البصل والثوم ، لقد رأيت رسول الله ﷺ =

لا ينبغي للإنسان أن يؤذي غيره ، فكيف يؤذي الرجل امرأته برائحته الكريهة ؟ وكيف تؤذي المرأة زوجها ؟ أو تؤذي أولادها ؟!

كلّ هذا ينبغي أن نقف معه وقفة حازمة ، نراجع فيها أنفسنا ، ونثوب فيها إلى رشدنا ، وننوي نيّة صادقة ألاّ نعود إلى هذه الآفة أبداً : ﴿ .. وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* *

● **الخطبة الثانية :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

كنت أبدأ مع اختيار الشعب الجزائري في انتخاباته المعروفة التي ألغيت ، وكنت أرى أنّ من حق هذا الشعب أن يختار من يريد أن يحكمه ، فهو ليس شعباً قاصراً .

من حقّه أن يختار لنفسه كما تختار الشعوب لنفسها ، كما يختار الأمريكان لأنفسهم ، وكما تختار إسرائيل لنفسها وكما يختار الأوربيون لأنفسهم ، وكما يختار الهنود لأنفسهم ، العالم كلّه يختار من يريد .

ومن حقّ الشعوب أن تُحكم بمن يريد ، ولا تُكره على أحد ، الإسلام لا يحب أن يكره الناس حتى على إمام الصلاة ، ومن الثلاثة الذين لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً : « رجل أمّ قوماً وهم له كارهون » (٢) .

كنت مع الشعب الجزائرى ، ولكنّي لست مع هذه الجماعات المسلّحة ، التي

= إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع ، فمن أكلهما فليمتهما طبخا ، رواه مسلم والنسائي وابن ماجه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ١٦٦ برقم ١٧٩) .

(١) النّور : ٣١ .

(٢) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : رجل أمّ قومًا وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان » رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وأورد الشيخ القرضاوي كلام عدد من الأئمة في إسناده ثمّ قال : فالحديث لا ينزل عن الحسن (المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ١٨٢ برقم ٢٢٩) .

تقول إنّها جماعات مسلمة وتقتل البرآء بغير حق ، وبغير ذنب ، وتقتل العزّل من الناس ومن المدنيين ، وتقتل قتلاً عشوائيًّا .

الإسلام يرفض هذا ، الدماء فى الإسلام مصونة ، والحياة محترمة ، والقرآن يقرّر ويؤكّد ما جاء في الأديان السابقة أنّ : ﴿ . . مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا . . ﴾ (١) .

ولهذا اقشعرّ بدني ، حينما سمعت قتل الرهبان الفرنسيّين السبعة في الجزائر ، ما صدّقت أن يحدث هذا من مسلم ، الإسلام لا يجيز أن يُقتل الإنسان - في غير حرب - بغير نفس قتلها عمدا ، وبغير فساد في الأرض ، ولم يفعل ما يبيح دمه ، فلماذا يُقتل هؤلاء الرهبان .

الإسلام نهى في الحرب العلنيّة الرسميّة بينه وبين أعدائه أن يُقتل الرهبان ، لا يُقتل إلاّ من يُقاتل .

رأى النبى ﷺ في بعض الغزوات امرأة مقتولة ، فأنكر ذلك ، وقال : « ما كانت هذه لتقاتل » (٢) ، ونهى بعد ذلك عن قتل النساء والصبيان ، كما نهى عن قتل العُسفاء ، أي : الأجراء الذين يعملون بالأجرة .

ونهى الخلفاء الراشدين عن قتل الفلاّحين الذين لا ينصبون للمسلمين في الحرب ، وقال سيّدنا أبو بكر - حينما وجّه جيشاً : ستجدون أناساً في الصوامع ، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له .

هكذا قال أبو بكر ، وأقّره الصحابة رضوان الله عليهم ، فلماذا يُقتل هؤلاء الرهبان ؟

أخذوهم رهائن ، والإسلام لا يجيز مسألة الرهائن ، لا يجيز أن ترهن إنساناً من أجل وزر إنسان آخر .

---

(١) المائدة : ٣٢ .

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٦٦٩) ، وابن ماجه برقم (٢٨٨٢) ، عن رباح بن ربيع ، ونصّه : قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ، فرأى الناس مجتمعين على شيىء ، فبعث رجلاً فقال : « أنظر علام اجتمع هؤلاء » فجاء فقال : على امرأة قتيل ، فقال : « ما كانت هذه لتقاتل » . قال : وعلى المقدمة خالد بن الوليد ، فبعث رجلاً ، فقال : « قل لخالد لا يقتلنّ امرأة ولا عسيفا » .

ما ذنب هذا الإنسان ؟ :

الذين يخطفون الطائرات أو يخطفون السفن ، ويهدّدون الآخرين : إذا لم تسلّموا من عندكم ، أو تسلّمونا كذا ، سنقتل هؤلاء !

ما ذنب هؤلاء المخطوفين ؟

هذا لا يجوز في الإسلام قط .

لا يجوز أن تهدّد إنساناً بريئاً من أجل جرم غيره . الله تعالى يقول : ﴿ . . وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . . ﴾[1] وهذا أمر مقرّر في الرسالات الإلهيّة جميعاً : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[2] .

وقد روى أهلّ التاريخ : إنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي ، المشهور بالعسف والجبروت ، اعتقل إنساناً ، ثمّ جيء به إليه في مجلس الحكم ، فسأله عن قضيّته ، فقال له : جنى جان من عُرض العشيرة فأخذتُ به - يعني : إنّ أخاه أو ابن عمّه أو واحداً من عصبته جني جناية ، بحثوا عنه فلم يجدوه فأخذوا هذا به - فقال له : أما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وقد ... تُعدي الصحاحَ مبارِكُ الجرب[3] !

ولربّ مأخوذ بذنب عشيرة ... ونجا المقارف صاحب الذنب !

فقال له : أيّها الأمير : إذا كان الشاعر قد قال ذلك ، فإنّي سمعت الله تعالى قال غير ذلك ، قال : ويحك ، وماذا قال الله ؟ قال : قال الله تعالى على لسان إخوة يوسف : ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾[4] ، صاحب الجريرة يؤخذ بجريرته ولا يؤخذ أحد مكانه .

سمع الحجاج هذه الآية من الرجل فقال : صدق الله وكذب الشاعر ! خلّوا سبيل هذا الرجل .

---

(١) الأنعام : ١٦٤ . (٢) النجم : ٣٦ - ٣٨ .

(٣) يعني : الأجرب يمكن أن يُعدي السليم . (٤) يوسف : ٧٨ ، ٧٩ .

الحجاج الظالم يخضع لنصّ القرآن : ﴿ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾ !

لا يجوز أن نقتل الرهبان من أجل أنّنا نطالب فرنسا بشيء ، ما ذنب هؤلاء الرهبان ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ .. وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(١) .

لا يجوز أن نظلم أحداً بسبب أحد ، ولذلك سرّني أنّ السياسيّين من جبهة الإنقاذ الذين يعيشون خارج الجزائر أنكروا هذه الجريمة ، وتبرّؤوا منها ، وقالوا : إنّ الإسلام برىء من مثل هذا ، وهذا هو الحقّ الذي ينبغي أن يقال وأن يصرّح به .

ليس هناك أحد أكبر من أن يُلام ، ومن أخطأ ينبغي أن يتحمّل نتيجة خطئه .

الإسلام دين سمح ، ودين عدالة ، ولا يظلم أحدا ، ولا يأخذ أحداً بذنب أحد ، لأنّه يمثّل عدل الله تعالى في الأرض ، والله تعالى هو العدل الذي لا يظلم أحدا .

إيّها الإخوة :

قبل أن أدع مقامي هذا، أحبّ أن أقول كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيليّة :

العرب كانوا معلّقين كلّ آمالهم على نجاح (بيريز) ، وقد سقط (بيريز) - وهذا ممّا نحمده في إسرائيل ، ونتمنّى أن تكون بلادنا مثلها ، وأن يكون الشعب هو الذى يحكم ، ليس هناك التسعات الأربع (٩٩ و ٩٩) أو التسعات الخمس (٩٩٩و٩٩) التي نعرفها في بلادنا !! إنّ الله تبارك وتعالى وهو خالق الخلق ورازقهم ومدبّر أمرهم لا يأخذ هذه النّسبة كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، ولكنّه الكذب والغشّ والخداع - ونحن لا يهمّنا في الحقيقة إن نجح (بيريز) أو نجح (نتنياهو) فكلاهما شرّ ، كما قال أحد الشباب أمس : إنّ كليهما يريد أن يأكلنا ، واحد يريد أن يأكلنا بيديه ، وواحد يريد أن يأكلنا بالشوكة والملعقة ، إنّما نحن المأكــولون ، نجــح (الليكود) أو نجح (العمل) نحن المضيّعون .

ينبغي ألاّ يعلّق الناس أملاً إلاّ على الله عزّ وجلّ .

---

(١) المائدة : ٨٢ . وأوّلها : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا .. ﴾ .

(٢) يوسف : ١٠٣ .

لعلّ الإخوة الفلسطينيين يجمعون صفوفهم ، ويعرفون أنّ هذا السلام الهزيل ، سلام يقوم على ساقين مريضتين ، سلام هشّ لا قيمة له ولا وزن .

ينبغي أن يضعوا كلّهم أيديهم بعضهم في يد بعض .

وينبغي للعرب أن يعودوا إلى أنفسهم ، ويتضامّوا بعد هذه الجفوة التي حدثت ، لا منجي لنا ولا مهرب إلاّ بأن نتحد .. إلاّ بأن نتضامّ .. إلاّ بأن نصبح كتلة واحدة كالبنيان المرصوص .

هذا ما ينبغي أن نفعله .

ليس أمامنا إلاّ بأن نعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرّق : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ ، وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى ، وقلوبنا على التقى ، وأنفسنا على المحبّة ، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل .

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك ، وأصلح لنا شأننا كلّه لا إله إلاّ أنت .

اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين ، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا ، واجعل كلمة أعدائه هي السّفلى ، وانصر إخوتنا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا من أرض الإسلام ، وأنقذ إخوتنا المضطهدين والممتحنين والمأسورين ، اللهم افكك بقوتك أسرهم ، واجبر برحمتك كسرهم ، وتولّ بعنايتك أمرهم .

للهم ولّ أمورنا خيارنا ، ولا تول أمورنا شرارنا ، وارفع مقتك وغضبك عنّا ، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا ، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئناً ، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام .

---

(١) آل عمران : ١٠٥ .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

﴿ . . وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [3].

* * *

(١) آل عمران : ١٤٧ .
(٢) الحشر : ١٠ .
(٣) العنكبوت : ٤٥ .